

سعد وسعيد وسعيدة
أ.د لطيفة حسين الكندري

لكل أمة معتقداتها وحكاياتها وأساطيرها التي قد تفسر الأحداث بصورة خيالية تخاطب المخيلة المجتمعية، وتحكي خرافات أو معلومات خارجة عن المؤلف مثل قصة الطنطل، وحمارة القايلة، والسعلو، وأبو درياه. فحص الحكايات وسيلة من وسائل فهم ثقافة المجتمع وتطوره. يعتني المتخصصون في ثقافة الشعوب بعلم الأساطير (Mythology) لتفسير الأحداث وتشرح البنية العقلية للمجتمع. أشار حمد محمد السعيدان في موسوعته إلى "تل سعيد" وقال أنه موقع آثار في جزيرة فيلكا عُثر فيه على أطلال معبد واكتشف فيه آثار من الفخار وعملات فضية يعود تاريخها إلى القرن الثاني قبل الميلاد. ويضيف الأستاذ خالد سالم محمد أن هناك "تل أثري يقع على الشريط الساحلي إلى الشمال من منطقة سعد وسعيد، وكانت هناك أسطورة قديمة يرددتها أهالي الجزيرة القدماء وهي: أن هذا التل يحوي تحته خزنة من الذهب والنقود، ولكن لا أحد يستطيع حفره وذلك لوجود ثعبان مخيف يحرسه، ومن الجدير بالذكر أن البعثة الفرنسية التي نقتبت عن الآثار في الجزيرة عام 1983 عثرت على قطع من النقود الأثرية تحت هذا التل".

وفي كتابه دراسات في التراث الكويتي أشار عادل محمد العبدالمغني إلى معتقدات مكانية شعبية ترسخت أهميتها في أذهان الناس مثل تل سعد وسعيد. تقول الرواية: كان يقطن في جزيرة فيلكا ثلاثة إخوة سعد وسعيد وسعيدة، إلا أن الأخوين بدأ الشك يساورهما نحو أختهما سعيدة وخافا على سمعتهما فأخذا الأخت إلى مكان غير مأهول ووضعاهما هناك ومن حين لآخر يرميان إليها الطعام والأخت المسكينة صابرة حتى توفيت من القهر والضيم، ثم اكتشف سعد وسعيد أن أختهما بريئة فاعتصر قلب الأخوين من الألم إلى أن توفيا. أقام الناس على قبرهما بناء من الصخر والطين كي يكون الأثر عبرة ودرسا لدحر الإشاعات الممغرضة.

عندما اطلعْتُ على هذه الرواية أخذت أحدث نفسي فأقول سعيدة المسكينة كانت ضحية لإشاعات ممغرضة وانتهت حياتها التي بدأت سعيدة بنهاية تعيسة ومأساوية... كم من فتاة سعيدة عاشت

وتعيش في مجتمعات تتعامل مع المرأة بقسوة، وذهنية مريضة تفسر الأحداث والملابس بطريقة قائمة على الظنون السيئة! حكاية سعد وسعيد وسعيدة أسطورة قديمة ارتبطت بالمعالم الأثرية في فيلكا وبغض النظر عن مصداقية القصة فإن الإنسان قد يعيش في بيئة مليئة من الود، والانسجام، والمحبة ولكن سوء الظن والوساوس والشكوك الكاذبة تسلب السعادة، وتشيع التعاسة بين الأخ وأخته، والزوج وزوجته، والقريب وقريبته. قد يدمر الإنسان حياته بيديه عندما يستسلم للوساوس التي تراوده. هناك العديد من الأساطير والأمثال الشعبية والعادات والتقاليد البالية التي تدل على معاناة الفتاة، وتؤدي إلى عدم المساواة بين الجنسين في الحياة المجتمعية، وتنغص عيش المرأة.